آيات من القرآن الكريم مبيّنة لما للعلم من الفضل وما للعلماء من المنزلة

دكتور/ علي بن عمر بن محمد السحيباني
أستاذ مشارك بقسم القرآن وعلومه
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة القصيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا،من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم،وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد: فإن العلم مهد الديانات وأصل الصناعات،وسبب تنوع وانتشار الثقافات،وبه يقاس رقي الشعوب والمجتمعات، وإن فضل العلم وحاجة الناس إليه،وكذا فضل العلماء ومنزلتهم في المجتمعات، من الأمور التي يجب العناية بها وإظهار شرفها ومنزلتها للناس ،ولما لهذين الأمرين من الأهمية البالغة في حياة الأمم والشعوب،جاء القرآن الكريم حافلا بالآيات التي أفردت كل واحد منها بما لا نظير له من الثناء والإشادة.

فالعلم هو أصل المعارف،ولذا كان أول مأمور به في هذا الدين العظيم،فأول آية نزلت على رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم:﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ ﴾العلق: ١ وهو الطريق إلى معرفة العبد ربه وخالقه،وبه يتوصل إلى كيفية القيام بحقه من العبادات وغيرها،و يقوم بمصالحه الخاصة والعامة،و يعمر هذا الكون، ويتعامل مع أبناء جنسه وفيما حوله.

وكذا يليه في المنزلة:فضل العلماء،فهم ورثة الأنبياء،فبواسطتهم يهتدي الناس إلى أمور دينهم، ويقومون بمصالحهم الدنيوية، ويعمرون مجتمعاتهم، ومنهم القادة والزعماء،والقضاة،والأمراء.

فأحببت أن أقف على بعض تلك الآيات التي أفردت كل واحد من هذين الأمرين،ببحث مختصر يكون كالإشارة التي يغني عن طويل العبارة،سائلا العلي القدير أن ينفع به كاتبه وناشره وقارئه،إنه ولي ذلك والقادر عليه

الدراسات السابقة:لم أجد من كتب في هذا الموضوع حسب اطلاعي وجهدي المحدود، فقد بحثت في المكتبات،ومركز الملك فيصل للمعلومات،ومكتبة الملك فهد،والشبكة العالمية،فلم أقف على بحث في هذا المجال،فعزمت على الكتابة فيه.

ومنهجي في البحث:حصر الآيات التي في هذا الموضوع،وتقسيمها على حسب الموضوعات،ووضع العناوين المناسبة لذلك،وعزو الآيات إلى سورها مع ذكر أرقامها،وتخريج الأحاديث مع ذكر حكم العلماء عليها،ونقل كلام العلماء حول تلك الآيات،ونسبة الأقوال إلى أصحابها،والترجيح لأحد الأقوال عند تعددها،وشرح الغريب من الألفاظ،والتعليق على ما يحتاج إلى تعليق،ثم سجلت أهم نتائج البحث في الخاتمة.

خطة البحث:الفصل الأول:فضل العلم، وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول:كونه أول مأمور به في كتاب الله عز وجل.

المبحث الثاني:أنه الوحيد الذي طلب الاستزادة منه.

المبحث الثالث:العلم قرين الإيمان في كتاب الله عز وجل.

المبحث الرابع:الحث والترغيب على الرحلة في طلب العلم.

المبحث الخامس:إظهار منة الله على بعض عباده بالعلم.

المبحث السادس:اشتراط العلم في من يختار للمهام الكبار.

المبحث السابع:النهي عن التلبس بالصلاة لمن فقد العلم بسبب السكر،وكذا النهي عن القول بلا علم.

الفصل الثاني:ما أعده الله للعلماء من المنزلة:وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول:أن الله قرن شهادتهم بشهادته سبحانه وشهادة ملائكته.

المبحث الثاني:اختصاصهم بمعرفة تأويل كلام الله سبحانه.

المبحث الثالث:الإشادة والثناء بمنزلتهم وذلك برد الأمور إليهم.

المبحث الرابع:رفع درجات ذوي العلم على سائر البشر.

المبحث الخامس:أن الله حصر خشيته بأولي العلم.

المبحث السادس:تميزهم بمعرفة الحق،وذلك من عدة وجوه.

المبحث السابع:سجودهم لله تعالى،إذا تليت عليهم آياته.

المبحث الثامن:تميز المعلم من الحيوانات على غيره بسبب العلم.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

ثبت المصادر والمراجع. فهرس الموضوعات.

الفصل الأول

فضل العلم

المبحث الأول:كونه أول مأمور به في كتاب الله عز وجل.

١- قال تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ العلق: ١ – ٥

هذا القدر من السورة هو الذي نزل أولا [١]،بخلا ف بقية السورة فإنما نزل بعد ذلك بزمان.

والحكمة من هذه الأولية:أن هذه الآيات الخمس اشتملت على مقاصد القرآن: ففيها براعة الاستهلال، وهي جديرة بأن تسمى عنوان القرآن ؛لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة في أوله.وبيان كونها اشتملت على مقاصد القرآن:أنها تنحصر في علوم التوحيد والأحكام والأخبار،وقد اشتملت على الأمر بالقراءة والبداءة فيها ببسم الله،وفي هذه الإشارة إلى الأحكام،وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب وإثبات ذاته وصفاته ،من صفات ذات وصفات فعل،وفي هذا إشارة إلى أصول الدين،وفيها ما يتعلق بالأخبار من قوله:(عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ [٢].

إن في نزول هذه الآيات الخمس، في أول لحظة يتم فيها اللقاء بين محمد صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام،لأكبر دليل وأعظم برهان على فضل العلم،ومن الملاحظ أنه تكرر في هذه الآيات عدة مرات:

فأول مرة:﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ)، والثانية: (ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣)، والثالثة: (ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤)، والرابعة:(عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾).

---

١ –أخـرج ذلـك البخاري عن عائشة رضي الله عنها في كتاب الإيمان باب بدء الوحي ٣/١،وكتاب التفـسير سورة اقرأ ٨٧/٦،وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بدء الوحي ١٣٩/١–١٤٠، وأخرجه الطبري في جامع البيان ٢٥١/٣٠، وانظر البرهان ٢٠٦/١، الإتقان للسيوطي معرفة أول ما نزل ١٥٨/١،والزيادة والإحسان في علوم القرآن، لابن عقيلة ١٦٦/١.

٢ –ينظر فتح الباري ٧١٨/٨.

قال السمين الحلبي:وفي تخصيص الإنسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق؛ لأن التنزيل إليه،ويجوز أن يكون تأكيدا لفظيا [1].

إن نزول هذه الآيات:يعتبر حدث ضخم،لما ترتب عليه من نتائج غيرت مجرى التأريخ، فتبدل وضع العرب من نتائجها من أمة كانت تعيش على السلب والنهب، وتعبد الشجر والحجر،إلى أمة أعلنت التوحيد لله مدويا في جنبات المعمورة وسادت العالم وقادتهم عدة قرون.

كان العرب أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب،وكذلك نبيهم أمي لا يقرأ ولا يكتب،لكن الله من عليهم بالرسالة الخاتمة وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون،ولذا سادوا العالم وقادوهم لما تعلموا.

أخرج الطبري عن قتادة عند هذه الآيات قال:القلم نعمة من الله عظيمة،لولا ذلك لم يقم،ولم يصلح عيش [2].

إن الله قد أكرم الإنسان أعظم كرامة،فلا يكاد يتصور عظمتها ولا يمكن أن يقوم بشكرها.

فبالعلم يعرف الإنسان ربه فيعبده على أكمل وجه،وبه يحسن التعامل مع بني جنسه،وكذا يتعرف على ما حوله ،وبه يكتسب المعارف ويتعلم الصناعات.

قال ابن القيم:(تأمل نعمة الله على الإنسان بالبيانين:البيان النطقي،والبيان الخطي،وقد اعتد بهمّا سبحانه في جملة من اعتد به من نعمه على العبد،فقال في أول سورة أنزلت: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ العلق: ١ – ٥ ،ثم ذكر التعليم بالقلم الذي هو من أعظم نعمه على عباده،إذ به تخلد العلوم وتثبت الحقوق،وتعلم الوصايا وتحفظ الشهادات،ويضبط حساب المعاملات الواقعة بين الناس،وبه تقيد أخبار الماضين للباقين اللاحقين، ولولا الكتابة لا انقطعت أخبار بعض الأزمنة عن بعض،ودرست السنن وتخبطت الأحكام،ولم يعرف الخلف مذاهب السلف،وكان معظم الخلل الداخل على الناس في دينهم ودنياهم إنما

---

١ –الدر المصون ٥٦/١١.

٢ –جامع البيان ٢٥١/٣٠.

يعتريهم من النسيان الذي يمحو صور العلم من قلوبهم،فجعل لهم الكتاب وعاء حافظا للعلم من الضياع،كالأوعية التي تحفظ الأمتعة من الذهاب والبطلان،فنعمة الله عز وجل بتعليم القلم بعد القرآن من أجل النعم...فكم لله من آية نحن غافلون عنها في التعليم بالقلم،فقف وقفة في حال الكتابة،وتأمل حالك وقد أمسكت بالقلم وهو جماد،وضعته على القرطاس وهو جماد،فتولد من بينهما أنواع الحكم وأصناف العلوم،وفنون المراسلات والخطب والنظم والنثر وجوابات المسائل..)[1].

٢- ثم أقسم سبحانه بالقلم الذي هو أول المخلوقات وآلة الكتابة ومصدر العلوم وسبب بقائها:

قال تعالى:﴿ نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ ﴾ القلم: ١ اختلف في المراد بالقلم هنا على قولين أحدهما:أنه القلم الذي كتب به باللوح المحفوظ،فالضمير في يسطرون للملائكة. والقول الآخر:أنه القلم المعروف عند الناس،أقسم الله به لما فيه من المنافع والحكم، والفوائد التي لا يحيط بها الوصف، والضمير في يسطـــرون على هذا لبني آدم [2].

ومن فوائد هذا القسم:أن هذا القرآن كتاب الإسلام ،وأنه سيكون مكتوبا مقروءا بين المسلمين، ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه بكتابة ما يوحى به إليه .

فالقسم بالقلم لشرفه بأنه يكتب به القرآن وكتبت به الكتب المقدسة وتكتب به التربية ومكارم الأخلاق والعلوم وكل ذلك مما له حظ شرف عند الله تعالى [3].

قال ابن القيم:(أقسم سبحانه بـــ﴿وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾فأقسم بالكتاب وآلته وهو القلم الذي هو إحدى آياته وأول مخلوقاته الذي جرى به قدره وشرعه،وكتب به الوحي،وقيد به الدين،وأثبتت به الشريعة وحفظت به العلوم ،وقامت به مصالح العباد في المعاش والمعاد فوطدت به الممالك،وأمنت به السبل والمسالك..) [4].

---

١ -مفتاح دار السعادة ٢٧٨/١.

٢ -ينظر تفسير ابن جزي ص٧٨٢،والكشاف ١٢٦/٤.

٣ -التحرير والتنوير ٦٠/٢٩.

٤ - الضوء المنير على التفسير ١٢٧/٦

المبحث الثاني:أنه الوحيد الذي طلب الاستزادة منه:

قال تعالى :﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ طه: ١١٤

وجه الله سبحانه رسوله في هذه الآية إلى سؤاله الزيادة من العلم،

أخرج ابن ماجه عن أبي هريرة قال :كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:(اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علما،والحمد لله على كل حال، وأعوذ بالله من عذاب النار)[1]

وأورد السيوطي في الدر المنثور عن ابن مسعود أنه كان يدعو:اللهم زدني إيمانا وفقها ويقينا وعلما [2].

قال سفيان بن عيينة :(لم يزل صلى الله عليه وسلم في زيادة حتى توفاه الله عز وجل) [3].

قال ابن جرير:(أمره بمسألته من فوائد العلم ما لا يعلم)[4].

واستدل بالآية على فضل العلم حيث أمر صلى الله عليه وسلم بطلب زيادته،وذكر بعضهم أنه ما أمر عليه الصلاة والسلام بطلب الزيادة في شيء إلا العلم [5].

---

١ -سنن ابن ماجه كتاب الدعاء باب فضل الدعاء ١٢٦٠/٢،ح٣٨٣٣،وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٣٢٥/٢،دون(والحمد لله)

٢ -الدر المنثور ٦٠٢/٥.

٣ -تفسير سفيان بن عيينة ص٢٩٣.

٤ -جامع البيان ٢٢٠/١٦/٩.

٥ -ينظر روح المعاني ٢٦٨/١٦.

المبحث الثالث:العلم قرين الإيمان في كتاب الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ الروم: ٥٦.

أخرج الطبري عن قتادة قال:هذا من مقاديم الكلام.وتأويلها:وقال الذين أوتوا الإيمان والعلم:لقد لبثتم في كتاب الله.وذكر عن ابن جريج أنه كان يقول:معنى ذلك:وقال الذين أوتوا العلم بكتاب الله،والإيمان بالله وكتابه [1].

وأورد السيوطي قول قتادة وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم [2].

ورد ذلك ابن عطية فقال:ولا يحتاج إلى هذا، بل العلم يتضمن الإيمان ولا يصف الله بعلم من لم يعلم كل ما يوجب الإيمان ثم ذكر الإيمان بعد ذلك تنبيها عليه وتشريفا لأمره ،فنبه على مكان الإيمان وخصه بالذكر تشريفا [3].

والذي يظهر أن في عبارة الطبري بعض التحريف،فقد وردت العبارة عند غيره من المفسرين بلفظ:والذين أوتوا العلم في كتاب الله والإيمان [4].

ففي هذه الآية قرن العلم بالإيمان دليل على أهمية العلم،بل أنه قدم العلم على الإيمان بالذكر؛وذلك لأن العلم هو الذي يقود إلى الإيمان،فبدون العلم لا يمكن للإنسان أن يفقه شيئا أو يقدم شيئا على شيء.

وأشار ابن القيم إلى فضل كل منهما، وأنهما سبب سعادة العبد ورفعته فقال:أفضل ما اكتسبته النفوس، وحصلته القلوب، ونال به العبد الرفعة في الدنيا

---

١ –جامع البيان١١/٢١/٥٧.

٢ –الدر المنثور ٦/٥٠٢.

٣ –المحرر الوجيز ١٢/٢٧٢.

٤ –ذكـر ذلك الواحدي في البسيط ١٨/٨٦،والوسيط ٣/٤٣٩،وذكره البغوي في معالم التنزيل ٦/٢٧٨ ،وابن الجوزي في زاد المسير ٦/٣١٢،وورد في تفسير الهواري ٣/٣٣٠. وذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٤/٤٨، وأبو حيان في البحر المحيط ٧/١٨٠، والسمين الحلبي في الدر المصون٩/٥٤ ، وقال: وصدوره عن قتادة بعيد، وذكره الشوكاني في فتح القدير ٤/٢٣٢

والآخرة،هو العلم والإيمان،ولهذا قرن بينهما سبحانه في هذه الآية ..ولكن أكثر الناس غالطون في حقيقة مسمى العلم والإيمان اللذين بهما السعادة والرفعة وفي حقيقتهما.. [1].

المبحث الرابع:الترغيب والحث على الرحلة في طلب العلم.

١- قال تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ التوبة: ١٢٢

ورد في سبب نزول هذه الآية عن ابن عباس في رواية الكلبي:لما أنزل الله عيوب المنافقين لتخلفهم عن الجهاد،قال المؤمنون:والله لا نتخلف عن غزوة يغزوها رسول الله صلى الله عليه وسلم،ولا سرية أبدا.فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسرايا إلى العدو،نفر المسلمون كافة،وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده بالمدينة، فأنزل الله تعالى هذه الآية [2].

قال البغوي:قوله عز وجل:﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ التوبة: ١٢٢ أي :فهلا خرج إلى الغزو من كل قبيلة جماعة ويبقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة (لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ) يعني الفرقة القاعدين،يتعلمون القرآن والسنن والفرائض والأحكام،فإذا رجعت السرايا أخبروهم بما نزل بعدهم ،فتمكث السرايا يتعلمون ما نزل بعدهم،وتبعث سرايا أخر،فذلك قوله(وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ)وليعلموهم بالقرآن ويخوفوهم به(إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)لا يعملون بخلافه.

وقال الحسن:هذا التفقه والإنذار راجع إلى الفرقة النافرة،ومعناه:هلا نفر فرقة ليتفقهوا،أي:ليتبصروا بما يريهم الله من الظهور على المشركين ونصرة الدين،ولينذروا قومهم من الكفار إذا رجعوا إليهم من الجهاد فيخبروهم بنصر الله رسوله صلى الله

---

١ - ينظر الفوائد ص ١٠٣

٢ -أسباب النزول للواحدي ص ٢٦٦،والبسيط ٩٣/١١،والوسيط ٥٣٤/٢،ولباب النقول للسيوطي ص١٢٧،وجامع البيان ٦٨/١١/٧،ومعالم التنزيل ١١١/٤،وزاد المسير ٥١٦/٣.

عليه وسلم والمؤمنين لعلهم يحذرون أن يعادوا النبي صلى الله عليه وسلم فينزل بهم ما نزل بأصحابهم من الكفار [1].

وقال الزجاج:(المعنى:أنهم إذا بقيت منهم بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم بقية فسمعوا منه وحيا أعلموا الذين نفروا ما علموا فاستووا في العلم ،ولم يخلوا منه [2].

قال الفراء:(فَلَوْلَا نَفَرَ) معناه:فهلا نفر [3].

ففي هذه الآية تحضيض وحث على النفور لطلب العلم والتزود منه، ثم منفعة إخوانهم القاعدين إذا رجعوا إليهم بإنذارهم وتخويفهم لئلا يحل بهم ما حل بأعدائهم من الكفار.

٢-قال تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾ الكهف: ٦٦

فهذا نبي الله موسى لما علم أن هناك من عباد الله من هو أعلم منه تكلف الرحلة في طلب العلم ليتزود منه مع ما هو فيه من المرتبة فقد أوتي التوراة،وكذا مع ما هو فيه من الشغل فهو نبي بني إسرائيل.

قال الزجاج:(وفيما فعله موسى وهو من جلة الأنبياء،وقد أوتي التوراة،من طلبه العلم والرحلة في ذلك ما يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم،وإن كان قد بلغ نهايته وأحاط بأكثر ما يدركه أهل زمانه،وأن يتواضع لمن هو أعلم منه) [4].

وقال قتادة:لو كان أحدا مكتفيا من العلم لا اكتفى موسى نبي الله حيث قال: (هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ) [5].

---

١ -معالم التنزيل ١١١/٤،وهذا المعنى هو الذي رجحه ابن جرير الطبري في جامع البيان ٧٠/١١/٧، وانظر تفسير الحسن ص٤٢٥،وزاد المسير ٥١٧/٣،وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٧٥/٣.

٢ -معاني القرآن وإعرابه ٤٧٥/٢.

٣ -معاني القرآن للفراء ٤٥٤/١،وكذا نقله النحاس عن الأخفش إعراب القرآن للنحاس ٢٤٠/٢، وذكر ذلك أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢٧١/١.

٤ -معاني القرآن وإعرابه ٣٠١/٣.

٥ -البسيط للواحدي ٨٣/١٤

وقال ابن الجوزي:(وهذه القصة قد حرضت على الرحلة في طلب العلم،واتباع المفضول للفاضل طلبا للفضل،وحثت على الأدب والتواضع للمصحوب) [1].

وعلق ابن القيم على قصة نبي الله موسى مع الخضر بفضل الرحلة في طلب العلم فقال:(وهذا هو الذي حمل موسى على الرحلة إلى عالم الأرض ليعلمه مما علمه الله،هذا هو كليم الرحمن وأكرم الخلق على الله في زمانه،وأعلم الخلق،فحمله حرصه ونهمه في العلم على الرحلة إلى العالم الذي وصف له، فلولا أن العلم أشرف ما بذلت فيه المهج وأنفقت فيه الأنفاس لا اشتغل موسى عن الرحلة إلى الخضر بما هو بصدده من أمر الأمة،وعن مقاساة النصب والتعب في رحلته وتلطفه للخضر في قوله:(هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا) [2].

المبحث الخامس:إظهار منة الله على بعض عباده بالعلم:

١-قال تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾ يوسف: ٦

معنى يجتبيك:يختارك ويصطفيك،وهو مشتق من جبيت الشيء إذا حصلته لنفسك،ومنه جبيت الماء في الحوض.والمراد بالأحاديث:قيل يعلمك تأويل الرؤيا،وقيل :يعلمك تأويل أحاديث الأنبياء والأمم،يعني الكتب، وكلاهما جائز [3].

ونسب ابن الجوزي القول بأنه تعبير الرؤيا:لابن عباس ومجاهد وقتادة،ونسب القول بأنه تأويل أحاديث الأنبياء والأمم للزجاج،وذكر قولا ثالثا:بأنه العلم والحكمة ونسبه لا بن زيد [4].

والراجح والله أعلم أن المراد:تعبير الرؤيا،وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة،لورود ذلك في كتاب الله في عدة مواضع مرادا به الرؤيا.

و في الآية دليل على أن شرف العلم أفضل من شرف النسب وحسن الصورة، و لذا لما أراد الله إظهار فضل يوسف وشرفه على أهل زمانه كلهم،أظهر للملك وأهل

---

١ -زاد المسير ١٦٩/٥.

٢ -مفتاح دار السعادة ١٥٩/١.

٣ -ينظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٩١/٣.

٤ -ينظر زاد المسير ١٨١/٤.

مصر من علمه بتأويل رؤياه ما عجز عنه علماء التعبير،فحينئذ قدمه ومكنه وسلم إليه خزائن الأرض.وكان قبل ذلك قد حبسه على ما رآه من حسن وجهه وجمال صورته،ولما ظهر له حسن صورة علمه وجمال معرفته أطلقه من الحبس ومكنه في الأرض،فدل على أن صورة العلم عند بني آدم أبهى وأحسن من الصورة الحسية ولو كانت أجمل صورة[1].

٢-وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكْتُبُوهُۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبُۢ بِٱلْعَدْلِۖ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِي عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٞ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَاۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْۖ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٢

هذا وعد من الله بأن من اتقاه علمه وألهمه،أي يجعل في قلبه نورا يفهم به ما يلقى إليه؛وقد يجعل الله في قلبه ابتداء فرقانا،أي فيصلا يفصل به بين الحق والباطل [2].

أمر سبحانه بالتقوى لأنها ملاك الخير،وبها يكون ترك الفسوق، وقوله (ويعلمكم الله) تذكير بنعمة الإسلام، الذي أخرجهم من الجهالة إلى العلم بالشريعة، ونظام العالم،وهو أكبر العلوم وأنفعها، ووعد بدوام ذلك لأنه جيء فيه بالمضارع،وفي عطفه على التقوى إيماء إلى أن التقوى سبب إفاضة العلوم[3].

---

١ – ينظر الضوء المنير على التفسير ١٩٤/١.

٢ –ينظر الجامع لأحكام القرآن ٤٠٦/٣،وتفسير ابن جزي ص٧١.

٣ –ينظر التحرير والتنوير ١١٨/٣.

وقد أمر الله عباده في هذه الآية بالكتابة،والكتابة هي ثمرة العلم،ولذا نهى سبحانه الكاتب عن الامتناع عن الكتابة وحظه على ذلك بقوله:(فا ليكتب) لما للكتابة من أثر بالغ في حفظ الحقوق ونحوها.

٣- وقال تعالى ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ ﴾ البقرة: ٢٤٧

البسطة:السعة،وقال بعضهم بسطته في العلم:هو أن انتفع هو به ونفع غيره فصار له به بسطة أي جود [١].

ومما يزيد العلم شرفا:أنه قدم على القوة الجسمية،مع أنه لا مكان للعلم إلا بوجود الجسم ومع ذلك فالعلم أشرف من القوة بذاتها.

وقال الزجاج:(أعلم الله عز وجل أن الذي يجب أن يقع به الاختيار: العلم،ليس أن الله عز وجل لا يملك إلا ذا مال،وأعلمهم أن الزيادة في الجسم مما يهيب به العدو) [٢].

وفي الآية تعليل اصطفاء طالوت،وهو بسطته في العلم الذي هو ملاك الإنسان،والجسم الذي هو معينه في الحرب وعدته عند اللقاء؛فتضمنت بيان صفة الإمام وأحوال الإمامة،وأنها مستحقة بالعلم والدين والقوة لا بالنسب،فلا حظ للنسب فيها مع العلم وفضائل النفس وأنها متقدمة عليه[٣].

فثبت بهذه الآية شرف العلم وفضله على سائر صفات البشر.

٤-قال تعالى:﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ يوسف: ٦٨

---

١ -ينظر اللسان(بسط)٢٦٠/٧،والمفردات (بسط) ص٤٦.

٢ -معاني القرآن وإعرابه ٣٢٨/١،وينظر البسيط٣٢٢/٤.

٣ - ينظر الجامع لأحكام القرآن ٢٤٦/٣.

أي ذو علم لأجل الذي علمناه،وللخير الذي علمناه،وللعلم الذي بيناه له،وقيل في التفسير: وإنه لذو فهم لما علمناه أي ذو حفظ ومراقبة لما علمناه.وقال أهل المعاني: مدحه الله بالعلم لقوله:

﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ يوسف: ٦٧ علم أن الحذر لا ينفع من القدر وأن المقدور كائن[1].

ففي هذه الآية امتدح الله يعقوب وأثنى عليه بصفة العلم الذي آتاه الله إياه،وعاب أكثر الناس بعدم علمهم.

٥- قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ البقرة: ٣١

في هذه الآية أظهر الله فضل آدم عليه السلام على الملائكة بفضل العلم الذي آتاه الله إياه.

قال القرطبي :في هذه الآية دليل على فضل العلم وأهله،وفضل آدم وعلو شأنه؛فكان أفضل من الملائكة بأن قدمه عليهم وأسجدهم له وجعلهم تلامذته وأمرهم بأن يتعلموا منه، فحصلت له رتبة الجلال والعظمة بأن جعله مسجودا له مختصا بالعلم [2].

ولما أراد الله تفضيل آدم وتمييزه وفضله ،ميزه عليهم بالعلم فعلمه الأسماء كلها، ثم عرضهم على الملائكة فقال:أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين...وجعل سبحانه في آدم من صفات الكمال ما كان به أفضل من غيره من المخلوقات،وأراد سبحانه أن يظهر لملائكته فضله وشرفه فأظهر لهم أحسن ما فيه،وهو علمه؛فدل على أن العلم أشرف ما في الإنسان وأن فضله وشرفه إنما هو بالعلم[3].

---

١ -ينظر معاني القرآن للفراء ٢/٥٠،والبسيط١٢/١٧٥،وزاد المسير ٤/٢٥٤.

٢ -ينظر الجامع لأحكام القرآن ١/٢٨٨.

٣ -ينظر الضوء المنير على التفسير ١/١٩٤.

٦-قال تعالى ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ﴾ الرحمن: ١ - ٤

قال عطاء عن ابن عباس:يريد بالإنسان :محمدا صلى الله عليه وسلم،والمراد بالبيان: أفصح الكلام،يعني القرآن.

وقال الكلبي وقتادة:الإنسان آدم عليه السلام علمه كل شيء،وهذا قول مقاتل.

وقال آخرون: الإنسان اسم جنس للناس جميعا، والبيان: النطق والتمييز، والكتابة والخط، والفهم والإفهام ، حتى عرف ما يقول وما يقال له، وعلم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به،وجعله مميزا حتى انفصل الإنسان من جميع الحيوان، وهذا قول أبي العالية،ومرة،وابن زيد،والحسن، والقرظي، والسدي، ويمان بن رباب [١].

ولعل الراجح والله أعلم:أن المراد عموم الناس،بحيث تميز الإنسان عن الحيوان بالنطق.

ففي هذه الآية امتن الله على الإنسان بتعليمه البيان من بين سائر المخلوقات.

والمراد بالبيان:الكلام والفهم،وهو مما فضل الله به الإنسان على سائر الحيوان[٢].

قال ابن القيم:(قوله:(عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ)إخبار عن إعطاء الوجود العلمي الذهني،فإنما تعلم الإنسان القرآن بتعليمه،كما أنه صار إنسانا بخلقه،فهو الذي خلقه وعلمه،ثم قال:(عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ) والبيان هنا يتناول مراتب ثلاثة كل منها يسمى بيانا.أحدها:البيان الذهني الذي يميز فيه بين المعلومات.الثاني:البيان اللفظي الذي يعبر به عن تلك المعلومات، ويترجم عنها فيه لغيره.الثالث:البيان الرسمي الخطي الذي يرسم به تلك الألفاظ،فيتبين الناظر معانيها،كما يتبين للسامع معاني الألفاظ،فهذا بيان للعين وذاك بيان للسمع،والأول بيان للقلب،وكثيرا ما يجمع سبحانه بين هذه الثلاثة كقوله: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦ ﴾ الإسراء: ٣٦

---

١ -ينظر جامع البيان ١١٤/١٣،ومعالم التنزيل ٤٤١/٧،والبسيط ١٣٤/٢١،والجامع لأحكام القرآن ١٥٢/١٧، والتفسير الكبير ٨٥/٢٩، وروح المعاني ٩٩/٢٧.

٢ -ينظر الجامع لأحكام القرآن ١٥٢/١٧.

ثم تأمل حكمة اللطيف الخبير فيما أعطى الإنسان علمه بما فيه صلاح معاشه ومعاده،ومنع عنه علم مالا حاجة له به،فجهله به لا يضر وعلمه به لا ينتفع به انتفاعا طائلا)[1] .

٧-قال تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ الكهف

(ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً)قيل في المراد بالرحمة ثلاثة أقوال:أحدها:النبوة،قاله ابن عباس و مقاتل.الثاني:الرقة والحنو على من يستحقه،ذكره ابن الأنباري.الثالث:النعمة،قاله أبو سليمان الدمشقي [2].

وفي المراد بالعلم في الآية قال ابن عباس:علما من علم الغيب [3].

ففي هذه الآية امتن الله على عبده بالنعمة وهي أفضل ما يتمتع به الإنسان، وقرن بها العلم، لأنه لو كان الإنسان يتمتع بالنعم بدون علم لكانت عيشته عيشة البهائم.

٨-قال تعالى:﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ الأنبياء

قال ابن عطية:(عدد الله تعالى على البشر أن علم داود صنعة الدروع فكان يصنعها أحكم صنعة لتكون وقاية من الحرب وسبب نجاة من العدو ،واللبوس في اللغة السلاح فمنه الدرع والسيف والرمح وغير ذلك) [4].

ففي تعليم الله لداود صنعة الدروع منة على جميع البشر حيث تداولت الأمم والشعوب تلك الصنعة إلى يومنا هذا،وهذا من فضل العلم الذي خدم البشرية.

---

١ -مفتاح دار السعادة ٢٧٩/١.

٢ -ينظر تنوير المقباس ص٣٠١،وزاد المسير ١٦٩/٥،والبسيط ٨١/١٤،والجامع لأحكام القرآن ١٦/١١.

٣ -ينظر زاد المسير ١٦٩/٥،والبسيط ٨١/١٤،ومعالم التنزيل ١٨٨/٥.

٤ -المحرر الوجيز ١٥٤/١١،وينظر البسيط ١٤٤/١٥،والجامع لأحكام القرآن ٣٢٠/١١.

٩-قال تعالى ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ يوسف: ٢٢

أخرج ابن جرير عن مجاهد في قوله:(حُكْمًا وَعِلْمًا)قال:الفقه والعقل والعمل قبل النبوة. وأخرج عن ابن إسحاق قال:آتاه الله حكما وعلما فقها في دينه ودين آبائه،وعلما بما في دينه وشرائعه وحدوده [١].

وقال الزجاج:(فعلم موسى عليه السلام وحكم قبل أن يبعث،والعالم الحكيم من استعمل علمه،وجعل الله إتيان العلم والحكمة مجازاة على الإحسان لأنهما يؤديان إلى الجنة التي هي جزاء المحسنين [٢]).

١٠-قال تعالى: ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ الأنبياء: ٧٤

قيل:الحكم:النبوة ،والعلم:المعرفة بأمر الدين وما يقع به الحكم بين الخصوم، وقيل: علما: فهما، والمعنى واحد، وقيل:(حُكْمًا)حكمة، وهو ما يجب فعله [٣].

وقال الشنقيطي:(أصل الحكم في اللغة:المنع كما هو معروف،فمعنى الآية:أن الله آتاه من النبوة والعلم ما يمنع أقواله وأفعاله من أن يعتريها الخلل [٤]).

فمن تمام نعمة الله على عبده لوطا أن آتاه الله مع النبوة الحكمة والعلم حتى تكتمل له المميزات فلا يصدر عنه تصرف يخل بحكمه أو فعله.

١١-قال تعالى: ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ الأنبياء: ٧٩

أثنى الله على داود وسليمان بأنه آتى كلا منهما حكما وعلما حتى في غير هذه القضية بدليل قوله: (حُكْمًا وَعِلْمًا) بالتنكير ولو أراد القضية وحدها لقال:حكمها وعلمها. إذا فالعلم شرف لصاحبه كما أنه عونا له على قضاء حوائجه والإصابة في أحكامه.

---

١ -جامع البيان ٤٢/٢٠/١١.

٢ -معاني القرآن وإعرابه ١٣٦/٤.

٣ -ينظر الجامع لأحكام القرآن ٣٠٩/١١،والكشاف ١٧/٣.

٤ -أضواء البيان ٥٩٤/٤.

والقول الراجح في هذه المسألة:أن حكمهما فيها باجتهاد لا بوحي كما أشار إلى ذلك الشنقيطي حيث قال:

(وفي الآية قرينتان تدلان على أن حكمهما كان باجتهاد لا بوحي،وأن سليمان أصاب فاستحق الثناء باجتهاده وإصابته،وأن داود لم يصب فاستحق الثناء باجتهاده ولم يستوجب لوما ولا ذما بعدم إصابته،كما أثنى على سليمان بالإصابة في قوله:(فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ)، وأثنى عليهما في قوله:(وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا)فدل قوله: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ الأنبياء: ٧٨على أنهما حكما فيها معا،كل منهما بحكم مخالف لحكم الآخر،ولو كان وحيا لما ساغ الخلاف،ثم قال:(فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ) فدل ذلك على أنه لم يفهمها داود،ولو كان حكمه فيها بوحي لكان مفهما إياها كما ترى،فقوله:(إِذْ يَحْكُمَانِ)مع قوله:(فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ) قرينة على أن الحكم لم يكن بوحي بل باجتهاد،وأصاب فيه سليمان دون داود بتفهيم الله إياه ذلك.

والقرينة الثانية:هي أن قوله تعالى:(فَفَهَّمْنَٰهَا)الآية يدل على أنه فهمه إياها من نصوص ما كان عندهم من الشرع،لا أنه أنزل عليه فيها وحيا جديدا ناسخا؛لأن قوله تعالى:(فَفَهَّمْنَٰهَا)أليق بالأول من الثاني كما ترى)[1].

المبحث السادس:اشتراط العلم في من يختار للمهام الكبار:

١-قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ الأعراف: ١٠٩

وقال تعالى: ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ ﴾ الأعراف: ١١٢

حتى في المهن الوضيعة والمحرمة يشترط أصحابها للقيام بالعمل بها ألوا العلم من أصحاب تلك المهن.

---

١ -أضواء البيان ٥٩٦/٤،وينظر حول تفصيل القصة جامع البيان ٥٢/١٧/١٠،وزاد المسير ٣٧٠/٥، ومعالم التنزيل ٣٣٣/٥،والجامع لأحكام القرآن ٣٠٨/١١

قال القرطبي:(عليم بالسحر ، وقرأ أهل الكوفة إلا عاصما (سحار عَلِيمٍ) وقرأ سائر الناس(سَحِرٍ) وهما متقاربان؛ إلا أن فعالا أشد مبالغة) [1].

٢-قال تعالى:﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾ يونس: ٧٩

قال أبو الليث السمرقندي: (يعني:حاذق بالسحر) [2].

٣-قال تعالى:﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾ يوسف: ٥٥

هاتان الصفتان تعمان وجوه المعرفة والضبط للخزائن،وحفظ الحساب والعلم بالألسن،ولذا ولاه الملك على الخزائن لما عرف منزلته من العلم والحفظ.

وقيل في ذلك ثلاثة أقوال:

الأول:حفيظ لما وليتني،عليم بالمجاعة متى تكون،قاله أبو صالح عن ابن عباس [3].

الثاني:حفيظ لما استودعتني،عليم بهذه السنين،قاله الحسن [4].

الثالث:حفيظ للحساب،عالم بالألسن،قاله السدي وذلك أن الناس كانوا يردون على الملك من كل ناحية فيتكلمون بلغات مختلفة [5].

فإخباره عن نفسه بذلك،لما كان متضمنا لمصلحة تعود على العزيز وعلى الأمة،وعلى نفسه:كان حسنا.إذ لم يقصد به الفخر عليهم،فمصدر الكلمة والحامل عليها يحسنها ويهجنها،وصورته واحده.فمن أخبر عن نفسه بمثل ذلك ليكثر به ما يحبه الله ورسوله من الخير فهو محمود [6].

٤-قال تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ

---

١ -الجامع لأحكام القرآن ٢٥٧/٧.

٢ -بحر العلوم ١٠٧/٢.

٣ -ينظر تنوير المقباس ص٢٤٢،وجامع البيان ٥/١٣/٨ ، وزاد المسير ٢٤٣/٤،والجامع لأحكام القرآن ٢١٣/٩.

٤ -زاد المسير ٢٤٣/٤.

٥ -ينظر تنوير المقباس ص ٢٤٢،وزاد المسير ٢٤٣/٤،والبسيط ١٥٦/١٢.

٦ -ينظر مفتاح دار السعادة ١٣٩/١.

عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ ﴾ البقرة: ٢٤٧

قال ابن عباس:كان طالوت يومئذ أعلم رجل في بني إسرائيل وأجمله وأتمه.والبسطة: الزيادة في كل شيء، ويسمى طول القامة: بسطة،والزيادة في المال والعلم وفي كل شيء:بسطة [١].

وقال الزجاج:(أعلم الله عز وجل أن الذي يجب أن يقع به الاختيار هو العلم،ليس أن الله لا يملك إلا ذا مال،وأعلمهم أن الزيادة في الجسم مما يهيب به العدو)[٢].

وقال ابن جرير:(إن الله بسط له في العلم والجسم،وآتاه من العلم فضلا على ما أتى غيره من الذين خوطبوا بهذا الخطاب،وذلك أنه ذكر أنه أتاه وحي من الله،وأما الجسم، فإنه أوتي من الزيادة في طوله عليهم ما لم يؤته غيره منهم)[٣].

٥-اشتراط العلم في من اتهم أحدا من المسلمين، أو وقع في عرضه:

قال تعالى: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ النور: ١٥

معنى تلقونه:أي يرويه بعضكم عن بعض [٤].

وقال الزجاج:معناه:إذ يلقيه بعضكم إلى بعض[٥].

وقال الفراء:كان الرجل يلقى الرجل فيقول:أما بلغك كذا وكذا فيذكر قصة عائشة رضي الله عنها لتشيع الفاحشة [٦].

---

١ -ينظر معالم التنزيل ٢٩٨/١،ومشكل القرآن وغريبه لابن قتيبه ص٨٤،والمفردات ص ٤٦، وتهذيب اللغة (بسط) ٣٤٤/١٢،والبسيط ٣٢٢/٤.

٢ -معاني القرآن وإعرابه ٣٢٨/١.

٣ -جامع البيان ٦٠٥/٢.

٤ -وهذا قول مجاهد ومقاتل والكلبي،أخرج ذلك الطبري عن مجاهد جامع البيان ٩٨/١٠، ونسبه البغوي لمجاهد ومقاتل والكلبي،معالم التنزيل ٢٥/٦.

٥ -معاني القرآن وإعرابه ٣٨/٤.

٦ -معاني القرآن ٢٤٨/٢.

وقال ابن قتيبة: تقبلونه [1].

وأخرج الطبري عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها كانت تقرأ هذه الآية:(إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ) تقول:إنما هو وَلْق الكذب،وتقول،إنما كانوا يلقون الكذب . قال ابن أبي مليكة:وهي أعلم بما فيها أنزلت.قال نافع:وسمعت بعض العرب يقول: الليق:الكذب.ثم قال: وكأن عائشة وجهت معنى ذلك بقراءتها (تَلَقَّوْنَهُۥ)بكسر اللام وتخفيف القاف إلى إذ تستمرون في كذبكم عليها،وإفككم بألسنتكم،كما يقال:ولق فلان في السير فهو يلق:إذا استمر فيه [2].

وقال الفراء:وقرأت عائشة:(إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ) وهو الولق أي ترددونه.والولق في السير والولق في الكذب بمنزلته إذا استمر في السير والكذب فقد ولق [3].

قال ابن فارس:الهمزة واللام والقاف أصل يدل على الخفة والطيش،واللمعان بسرعة،قال بعضهم:رجل ألاق أي كذاب،وقد ألق بالكذب يألق ألقا [4].

ونقل الأزهري في تهذيب اللغة،يقال:برق إلاق:لا مطر فيه،كأنه كذوب،ونقل عن ابن الأعرابي:يقال للذئب سلق وألق.قال:والألق الكذب [5].

وقال السعدي عند تفسير قوله تعالى:(إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ):والأمران محظوران،التكلم بالباطل،والقول بلا علم [6].

ففي هذه الآية نجد أن الله عاب على المسلمين العجلة في تلقي الأخبار من غير ترو ولا بصيرة بمصدرها،ولا تحر من حقيقتها،وهذا غالبا ما يصدر ممن ليس بعالم.

---

١ -غريب القرآن لابن قتيبة ص٣٧.

٢ -جامع البيان ٩٨/١٠، وأخرج ذلك البخاري عن عائشة صحيح البخاري كتاب التفسير باب:(إذتلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) ١٠/٦ وينظر المحرر الوجيز ٢٨٢/١١.

٣ -معاني القرآن ٢٤٨/٢.

٤ -معجم مقاييس اللغة (ألق) ١٣٢/١.

٥ -تهذيب اللغة(ألق)٣١١/٩.

٦ -تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٥٦٤.

المبحث السابع: النهي عن التلبس بالصلاة لمن فقد صفة العلم بسبب السكر، وكذا النهي عن القول بلا علم:

١–قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورٗا ﴿٤٣﴾ ﴾ النساء: ٤٣

الصلاة صلة بين العبد وربه،ولذا يجب أن يكون المرء حال اتصاله بربه على أحسن الأحوال وأكمل الصفات،ولذا منع حال سكره من قرب الصلاة، سواء كان سكره من الخمر كما دلت عليه هذه الآية،أو كان من سكر النوم كما دل عليه حديث:(إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يستغفر فيسب نفسه)[١].

فلا بد من صحة العقل وسلامته قبل الشروع بالصلاة، فقوله تعالى:(حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ)غاية للنهي وإيماء إلى علته،واكتفى بقوله(تَقُولُونَ)عن(تفعلون)لظهور أن ذلك الحد من السكر قد يفضي إلى اختلال أعمال الصلاة،إذ العمل يسرع إليه الاختلال باختلال العقل قبل اختلال القول[٢].

٢– قال تعالى:﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ ﴾ الإسراء: ٣٦

أخرج الطبري عن قتادة قال:(لا تقل رأيت ولم تر،وسمعت ولم تسمع،وعلمت ولم تعلم)[٣].

يقال: قفوت أثره قفوا وقفوا،أي اتبعته.وقفيت على أثره بفلان،أي أتبعته إياه. ومنه الكلام المقفى،ومنه سميت قوافي الشعر لأن بعضها يتبع أثر بعض [٤].

---

١ –أخرجه البخاري في كتاب الوضوء باب الوضوء من النوم ومن لم ير من النعسة والنعستين أو الخفقة وضوءا ٦٠/١

٢ – ينظر التحرير والتنوير ٦١/٣.

٣ –جامع البيان ٨٦/٩.

٤ –ينظر الصحاح (قفا)٢٤٦٦/٦.

قال النحاس:(وهذه الأقوال ترجع إلى معنى واحد،وهو من قفوت الشيء:أي اتبعت أثره،والمعنى:لا تتبعن لسانك ما لم تعلمه،فتتكلم بالحدس والظن) [1].

وقال الحسن:لا تكذب على فؤادك،تقول:علمت ما لم تعلم،ولا على سمعك تقول:سمعت ما لم تسمع،ولا على بصرك تقول:أبصرت ما لم تبصر [2].

وأخرج الطبري عن محمد بن الحنفية قال:الآية في شهادة الزور [3].

جميع هذه الأقوال تشير إلى عدم التكلم أو الإقدام من المرء على ما ليس له به علم.

إذا فالعلم أساس لجميع الأمور القولية والفعلية.

٣- قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ العنكبوت: ٨

في هذه الآية يأمر الله الابن بعدم طاعة والديه فيما ليس له به علم مما يجب لله،هذا مع ما أمر الله به الولد من البر والطاعة لوالديه،إلا أنه في حال عدم علمه بصحة ما يأمرانه به يجب عليه عدم الطاعة لهما في هذا الأمر،مع أنه يجب عليه صحبتهما بالمعروف،ففي هذه الآية يظهر شرف العلم،وأنه هو الذي يسير الإنسان ويضبط تصرفاته على المنهج الصحيح.

قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية:(وإن حرصا عليك أن تتابعهما على دينهما إذا كانا مشركين، فإياك وإياهما،فلا تطعهما في ذلك،فإن مرجعكم إلي يوم القيامة، فأجزيك بإحسانك إليهما وصبرك على دينك) [4].

---

١ -معاني القرآن للنحاس ١٥٦/٤.

٢-البسيط ٣٣٢/١٣.

٣ -جامع البيان ٨٦/٩،ومعاني القرآن للنحاس ١٥٥/٤،والبسيط ٣٣٣/١٣.

٤ -تفسير القرآن العظيم ٣٠٩/٥.

الفصل الثاني

في علو الرتبة وما أعده الله للعلماء من المنزلة

المبحث الأول: أن الله قرن شهادتهم بشهادته سبحانه وشهادة ملائكته:

١-قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ آل عمران: ١٨

إن مما يزيد من شرف العلماء ورفعة منزلتهم،نزول آيات من القرآن تقرن شهادتهم بشهادة الله سبحانه وشهادة ملائكته على أعظم مشهود عليه

قال ابن القيم:(وفي ضمن هذه الشهادة الإلهية ؛الثناء على أهل العلم الشاهدين بها وتعديلهم؛فإنه سبحانه قرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته،واستشهد بهم جل وعلا على أجل مشهود به،وجعلهم حجة على من أنكر هذه الشهادة،كما يحتج بالبينة على من أنكر الحق. فالحجة قامت بالرسل على الخلق،وهؤلاء نواب الرسل وخلفاؤهم في إقامة حجج الله على العباد.وقد فسرت شهادة أولي العلم بالإقرار،وفسرت بالتبيين والإظهار، والصحيح:أنها تتضمن الأمرين:فشهادتهم إقرار،وإظهار،وإعلام،وهم شهداء الله على الناس يوم القيامة)[١].

وقال ابن كثير:(وهذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام) [٢].

واختلف في أولي العلم هؤلاء من هم؟:فقيل هم الأنبياء،وقيل المهاجرون والأنصار،قاله ابن كيسان،وقيل:مؤمنوا أهل الكتاب،قاله مقاتل،وقيل:المؤمنون كلهم،قاله السدي والكلبي،وهو الحق إذ لا وجه للتخصيص،وفي ذلك فضيلة لأهل العلم جليلة،ومنقبة نبيلة لقرنهم باسمه واسم ملائكته،والمراد بأولي العلم هنا :علماء الكتاب والسنة وما يتوصل به إلى معرفتهما [٣].

وفي هذه الآية دليل على شرف العلم من وجوه كثيرة:

---

١ -الضوء المنير ٣٧/١.

٢ -تفسير القرآن العظيم ٢١/٢.

٣ -ينظر فتح القدير ٣٢٥/١،والبسيط ١١١/٥.

منها:أن الله خصهم بالشهادة على أعظم مشهود عليه دون الناس،ومنها:أن الله قرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته،وكفى بذلك فضلا،ومنها:أنه جعلهم أولي العلم، فأضافهم إلى العلم، إذ هم القائمون به المتصفون بصفته،ومنها:أنه تعالى جعلهم شهداء على الناس،وألزم الناس العمل بالأمر المشهود به،فيكون لهم مثل أجورهم لأنهم السبب في ذلك،ومنها:أن إشهاده تعالى أهل العلم يتضمن ذلك تزكيتهم وتعديلهم وأنهم أمناء على ما استرعاهم عليه [1].

المبحث الثاني:اختصاصهم بمعرفة تأويل كلام الله سبحانه:

١-قال تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ آل عمران: ٧

قال الليث:رجل راسخ في العلم:قد دخل فيه مدخلا ثابتا،والراسخون في كتاب الله؛هم الدارسون،ورسخ الشيء رسوخا إذا ثبت في موضعه،وأرسخته إرساخا، كالحبر يرسخ في الصحيفة،والعلم يرسخ في قلب الإنسان.

وقال ثعلب عن ابن الأعرابي في قول الله عز وجل(وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ) قال:هم الحفاظ والمذاكرون.والراسخ في العلم:البعيد العلم [2].

واختلف العلماء في قوله تعالى:(وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ) فرأت فرقة، أن رفع (وَٱلرَّٰسِخُونَ) هو بالعطف على اسم الله عز وجل وأنهم داخلون في علم المتشابه في كتاب الله،وأنهم مع علمهم به،يقولون(ءَامَنَّا بِهِۦ) قال بذلك ابن عباس،وقال:أنا ممن يعلم تأويله، وقال مجاهد:والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به،وقاله الربيع بن سليمان، ومحمد بن جعفر بن الزبير،والقاسم بن محمد،والشافعية،وابن فورك،والشيخ أحمد القرطبي، وغيرهم. و(يَقُولُونَ)على هذا التأويل:نصب على الحال.

---

١ - ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص١٢٥.

٢ -ينظر تهذيب اللغة (رسخ)١٦٦/٧،والصحاح(رسخ)٤٢١/١.

وقالت فرقة أخرى:والراسخون رفع بالابتداء وهو مقطوع من الكلام الأول وخبره (يَقُولُونَ) ،والمنفرد بعلم المتشابه هو الله وحده بحسب اللفظ في الآية،وفعل الراسخين قولهم(ءَامَنَّا بِهِۦ) قال بذلك ابن عباس،وعائشة،وعروة بن الزبير، وابن عمر، وابن مسعود، وأبي، ومالك بن أنس،وعمر بن عبد العزيز،وهو قول الكسائي والأخفش والفراء[1].

قال ابن عطية:(وهذه المسألة إذا تؤملت قرب الخلاف فيها من الاتفاق،وذلك أن الله تعالى قسم آي الكتاب قسمين:محكما ومتشابها،فالمحكم هو المتضح المعنى لكل من يفهم كلام العرب لا يحتاج فيه إلى نظر ولا يتعلق به شيء يلبس ،ويستوي في علمه الراسخ وغيره،والمتشابه يتنوع،فمنه ما لا يعلم البتة،كأمر الروح،وآماد المغيبات، ومنه ما يحمل على وجوه في اللغة ومناح في كلام العرب،فيتأول تأويله المستقيم،ويزال ما فيه مما عسى أن يتعلق به من تأويل غير مستقيم كقوله في عيسى(وَرُوحٌ مِّنْهُ)ولا يسمى أحد راسخا إلا بأن يعلم من هذا النوع كثيرا بحسب ما قدر له،وإلا فمن لا يعلم سوى المحكم فليس يسمى راسخا،وقوله تعالى:(وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥ) الضمير عائد على جميع متشابه القرآن،وهو نوعان كما ذكرنا،فقوله:(إِلَّا ٱللَّهُ)مقتض ببديهة العقل أنه يعلمه على الكمال والاستيفاء،يعلم نوعيه جميعا،فإن جعلنا قوله:(وَٱلرَّٰسِخُونَ)عطفا على اسم الله تعالى،فالمعنى:إدخالهم في علم التأويل لا على الكمال،بل علمهم إنما هو في النوع الثاني من المتشابه،وبديهة العقل تقضي بهذا،والكلام مستقيم على فصاحة العرب) [2].

يشير ابن عطية بذلك إلى أنه إن أريد بالمتشابه،ما اختص الله بعلمه فالراسخون مثل غيرهم لا يعلمون تأويله أي تفسيره،وإن أريد بالمتشابه ما كان غير واضح لكل أحد، وهو الذي لابد فيه من البحث والمقايسة بين الأشياء حتى يتوصل إلى

---

١ –ينظر جامع البيان ١٨٤/٣،ومعاني القرآن للنحاس ٣٥٣/١،ومعاني القرآن للفراء ١٩١/١، والمحرر الوجيز ٢٠/٣،والبحر المحيط ٣٨٤/٢،والدر المصون ٢٩/٣،ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٧٨/١،ومعالم التنزيل ١٠/٢، والجامع لأحكام القرآن ١٦/٤، التفسير الكبير ١٧٦/٧، والتحرير والتنوير ١٦٤/٣.

٢ –المحرر الوجيز ٢١/٣.

معناه،فإن الراسخين يعلمون تأويله بما لديهم من الأدلة والبراهين التي يتوصلون بها إلى معرفته دون غيرهم.

والرسوخ في العلم لا يحصل إلا بعد التتبع التام والاجتهاد البليغ،فإذا استقام القلب على طريق الرشاد ورسخ في العلم أفصح صاحبه النطق بالقول الحق،وكفى بدعاء الراسخين في العلم (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا)شاهدا على أن(وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) مقابل لقوله(فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ)وفيه إشارة إلى أن الوقف على قوله(إِلَّا اللَّهُ)تام وإلى أن علم بعض المتشابه مختص بالله تعالى.

وفي ختم الآية بقوله تعالى:(وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ)تعريض بالزائغين ومدح للراسخين،يعني من لم يتذكر ويتعظ ويخالف هواه فليس من أولي العقول،ومن ثم قال الراسخون:(رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا) فخضعوا لباريهم لا اشتراك العلم اللدني بعد أن استعاذوا به من الزيغ النفساني [1].

٢- ثناء الله سبحانه وتعالى على علماء أهل الكتاب بسبب العلم، وخاصة الراسخين منهم:

فقال سبحانه:﴿ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ﴾ النساء: ١٦٢

قال القرطبي: (استثنى مؤمني أهل الكتاب،وذلك أن اليهود أنكروا وقالوا:إن هذه الأشياء كانت حراما في الأصل وأنت تحلها ولم تكن حرمت بظلمنا؛ فنزل:(لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) [2].

فهم لعلمهم وثبوتهم وبصيرتهم في علمهم آمنوا بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم،وصدقوا بما جاء به[3].

---

١ -ينظر فتح الباري ٢١١/٨.

٢ -الجامع لأحكام القرآن ١٣/٦،وينظر معالم التنزيل ٣٠٩/٢،وزاد المسير ٢٥٠/٢،والبسيط ١٨٩/٧.

٣ -ينظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٣٠/٢.

المبحث الثالث:الإشادة والثناء على أهل الاستنباط، والأمر برد الأمور إليهم:

قال تعالى:﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ النساء: ٨٣

في هذه الآية بين الله أن أولي العلم هم أولى من يرد إليه معرفة الأمر الموهم أو المشتبه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم،وفي ذلك مزية لهم ورفع لمرتبتهم حيث خصوا بهذه المزية دون سائر الخلق.

أي:لو ردوا الأمر من الأمن أو الخوف،وفوضوا تأويله إلى الرسول وإلى أولي الأمر، والمراد بأولي الأمر،قيل:ذوو العلم والرأي،وقيل:هم أمراء السرايا [1].

قال ابن جرير:(ولو ردوا الأمر الذي نالهم من عدوهم والمسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم،وإلى أولي أمرهم،يعني:وإلى أمرائهم وسكتوا فلم يذيعوا ما جاءهم من الخبر حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم،أو ذوو أمرهم هم الذين يتولون الخبر عن ذلك،بعد أن تثبت عندهم صحته،أو بطوله،فيصححوه إن كان صحيحا، أو يبطلوه إن كان باطلا،لعلم حقيقة ذلك الخبر الذي جاءهم به،الذين يبحثون عنه، ويستخرجونه(مِنْهُمْ)يعني:أولي الأمر،و(الهاء) و(الميم)، في قوله(مِنْهُمْ)من ذكر أولي الأمر، يقول: لعلم ذلك من أولي الأمر من يستنبطه)[2].

وقد أوضح ابن القيم المراد بالاستنباط،وأخبر أن الله أثنى عليهم فقال:(قد مدح الله تعالى أهل الاستنباط في كتابه وأخبر أنهم أهل العلم،ومعلوم أن الاستنباط إنما هو استنباط المعاني والعلل ونسبة بعضها إلى بعض،فيعتبر ما يصح منها بصحة مثله ومشبهه ونظيره،ويلغي ما لا يصح،هذا الذي يعقله الناس من الاستنباط،ومعلوم أن ذلك قدر زائد على مجرد فهم اللفظ،فإن ذلك ليس طريقة الاستنباط؛إذ موضوعات الألفاظ لا تنال بالاستنباط،وإنما تنال به العلل والمعاني والأشباه والنظائر ومقاصد المتكلم،والله

---

١ –ينظر جامع البيان ١٨٢/٥،وزاد المسير ١٤٦/٢،ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٨٣/٢،ومعاني القرآن للفراء ٢٧٩/١.

٢ –جامع البيان ١٨٠/٥،وينظر معالم التنزيل ٢٥٤/٢.

سبحانه ذم من سمع ظاهرا مجردا فأذاعه وأفشاه، وحمد من استنبط من أولي العلم حقيقته ومعناه) [1].

وفي هذه الآية تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق،وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة،والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن،وسرور المؤمنين، أو الخوف الذي فيه مصيبة عليهم،أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر،بل يردونه إلى الرسول، وإلى أولي الأمر منهم،أهل الرأي والعلم والنصح،والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور،ويعرفون المصالح وضدها،فقوله:(لعلمه الذين يستنبطونه منهم) أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة،وعلومهم الرشيدة.وفي هذا دليل لقاعدة أدبية،وهي:أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور،ينبغي أن يولى من هو أهل لذلك، ولا يتقدم بين أيديهم،فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ،وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها،والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه،هل هو مصلحة،فيقدم عليه الإنسان أم لا؟فيحجم عنه [2].

المبحث الرابع:رفع درجات ذوي العلم على سائر البشر:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١ ﴾ المجادلة: ١١

أي يرفع الله له الثواب في الآخرة،والكرامة في الدنيا.قال ابن مسعود:مدح الله العلماء في هذه الآية،فقد تم القول عند قوله:(مِنكُمْ)ثم ابتدأ بتخصيص العلماء بالدرجات ونصبهم بإضمار فعل،فالمؤمنون رفع على هذا التأويل وللعلماء درجات،قال مطرف بن الشخير:فضل العلم أحب إلي من فضل العبادة وخير دينكم الورع،وأخرج الطبري عن قتادة:إن بالعلم لأهله فضلا،وإن له على أهله حقا،ولعمري للحق عليك أيها العالم فضل،والله معطي كل ذي فضل فضله [3].

---

١ -أعلام الموقعين عن رب العالمين ٢٢٥/١.

٢ -ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص١٩٠.

٣ -ينظر جامع البيان ١٨/١٤،والمحرر الوجيز ٤٥١/١٥،والجامع لأحكام القرآن ٢٩٩/١٧.

وذكر ابن القيم عدة مواضع فيها رفع الدرجات لأولي العلم فقال:(أخبر سبحانه برفع الدرجات في أربعة مواضع،هذا أحدها.

والثاني قوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ الأنفال: ٢ – ٤ .

والثالث:قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ ﴾ طه: ٧٥.

والرابع:قوله تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ ﴾ النساء: ٩٥ – ٩٦.

فهذه أربعة مواضع في ثلاثة منها الرفعة بالدرجات لأهل الإيمان الذي هو العلم النافع والعمل الصالح،والرابع الرفعة بالجهاد فعادت رفعة الدرجات كلها إلى العلم والجهاد الذين بهما قوام الدين)[1].

المبحث الخامس:أن الله حصر خشيته بأولي العلم:

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ فاطر: ٢٨

الخشية هي أشد أنواع الخوف،والعلماء هم أعرف الناس بربهم، ولذا كان جديرا بهم أن يكونوا أخشى الناس لربهم سبحانه وتعالى.

قال ابن مسعود:كفى بخشية الله علما،وكفى بالاغترار بالله جهلا،وقال مجاهد والشعبي:العالم من خاف الله [2].

---

١ –مفتاح دار السعادة ١/٥٠

٢ –ينظر معالم التنزيل ٦/٤١٩،وزاد المسير ٦:٤٨٦،والجامع لأحكام القرآن ١٤/٣٤٣.

فأشد الناس لله خشية هم الأعلم،وأعلم هذه الأمة وأشدها له خشية رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما في حديث عائشة: (فو الله إني أعلمهم بالله،وأشدهم له خشية) [1].

قال ابن حجر: وأشار بقوله : أعلمهم، إلى القوة العلمية، وبقوله: أشدهم له خشية، إلى القوة العملية أي أنا أعلمهم بالفضل وأولاهم بالعمل به [2].

قال ابن القيم:(ومقام الخشية:جامع لمقام المعرفة بالله ،والمعرفة بحق عبوديته، فمتى عرف الله وعرف حقه اشتدت خشيته له) [3].

المبحث السادس:تميزهم بمعرفة الحق وذلك من عدة وجوه:

١- بإخبات قلوبهم لمعرفة الحق:

قال تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ الحج: ٥٤.

اختص الله العلماء من عباده بمعرفة الحق دون غيرهم من الخلق:والمراد بالذين أوتوا العلم:هم المؤمنون الذين أوتوا التوحيد والقرآن، وقيل: صدقوا بما نسخ الله [4].

ومعنى تخبت له قلوبهم: أي تخضع للقرآن قلوبهم، وتذعن بالتصديق به، والإقرار بما فيه، وقيل:ترق للقرآن قلوبهم، وقال ابن عباس:المخبتين المتواضعين،وقال مجاهد: المطمئنين إلى الله، وقال الأخفش: الخاشعين [5].

---

١ -أخــرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب ما يكره من التعمق والتنازع والغلو في الدين والبدع فتح الباري ٢٧٥/١٣،ومسلم في كتاب الفضائل باب علمه صلى الله عليه وسلم بالله تعالى وشدة خشيته ١٨٢٩/٤.

٢ -فتح الباري ٢٧٩/١٣.

٣ -مدارج السالكين ١٣٦/١.

٤ -ينظر معالم التنزيل ٣٩٥/٥،وزاد المسير ٤٤٣/٥،والبسيط ٤٧٢/١٥.

٥ -ينظر جامع البيان ١٩١/١٠،والضوء المنير ٢٩٤/٤.

وقال الزجاج:(اشتقاقه من الخبت وهو المنخفض من الأرض،وكل مخبت متواضع،فالإخبات سكون الجوارح على وجه التواضع والخشوع لله)[1].

وقد بين الله سبحانه حقيقة الإخبات ووصف المخبتين في قوله:

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الحج: ٣٤ – ٣٥.

فذكر للمخبتين أربع علامات:وجل قلوبهم عند ذكره،والوجل خوف مقرون بهيبة ومحبة، وصبرهم على أقداره،وإتيانهم بالصلاة قائمة الأركان ظاهرا وباطنا، وإحسانهم إلى عباده بالإنفاق مما آتاهم.وهذا إنما يتأتى للقلب المخبت[2].

٢- تميزهم بالأمر بتوجيه السؤال والاستفتاء إليهم:

قال تعالى:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۚ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ النحل: ٤٣ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۖ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٧

أخرج الطبري عن ابن عباس قال:لما بعث الله محمدا رسولا أنكرت العرب ذلك،أو من أنكر منهم،وقالوا:الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد قال:فأنزل الله﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ ﴾ يونس: ٢ وقال:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۚ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ النحل: ٤٣ – ٤٤

فاسألوا أهل الذكر:يعني:أهل الكتب الماضية،أبشرا كانت الرسل التي أتتكم أم ملائكة؟فإن كانوا ملائكة أنكرتم،وإن كانوا بشرا فلا تنكروا أن يكون محمد رسولا)[3].

---

١ – معاني القرآن وإعرابه ٤٢٧/٣.

٢ –الضوء المنير ٢٩٤/٤.

٣ –جامع البيان ١٠٩/٨.

وقال الزجاج:(فيها قولان:قيل فاسألوا أهل الكتب أهل التوراة والإنجيل وأهل جميع الكتب يعترفون أن الأنبياء كلهم بشر.ويجوز والله أعلم أن يكون قيل لهم اسألوا كل من يذكر بعلم وافق أهل هذه الملة أو خالفهم)[1].

فالمراد بأهل الذكر:هم أهل العلم بأخبار الماضين ومن أنبأهم الرسل،والذكر المراد به العلم؛لأنه مقرون بالذكر ومتعلق به،إذ العالم من يذكر الدليل ولا يكون ساهيا عنه،فحسن أن يقع الذكر موقع العلم[2].

٣-اختصاصهم بمعرفة الحق:

قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ البقرة: ٢٦

أخرج الطبري عن الربيع وقتادة:أي أن هذا المثل الحق من ربهم أنه كلام الله ومن عنده[3].

فأثنى الله على الفريق العالم،وذم الكافرين بإعراضهم عن طريق الاستدلال وإنكارهم ما هو صواب وحكمة.

٤-تخصيصهم ببيان حدود الله لهم:

قال تعالى:﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ ﴾ البقرة: ٢٣٠

خص العالمين بالذكر وهو في المعنى عام لهم ولغيرهم؛لأنهم الذين ينتفعون ببيان الآيات، أو يقال: خصوا بالذكر لنباهتهم وتشريفهم.أما الجاهل فإنه إذا كثر عليه الأمر والنهي فإنه لا يحفظه ولا يتعاهده؛ فلهذا خاطب العلماء ولم يخاطب الجهال[4].

---

١ -معاني القرآن وإعرابه ٣/٢٠٠.

٢ -ينظر البسيط ١٣/٦٥.

٣ -جامع البيان ١/١٨٠.

٤ -ينظر البسيط ٤/٢٣٥،والجامع لأحكام القرآن ٣/١٥٤.

٥- تفردهم بتفصيل الآيات لهم،وفقههم لآيات الله تعالى:

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ الأنعام: ٩٧ – ٩٨

خص من يعلم لأنهم الذين ينتفعون بتفصيلها وأما غيرهم فمعرضون عن الآيات وعن الاستدلال بها[١].

قال الليث:فصل ما بين كل شيئين حد،ومنتهى كل شيء حد،وحد كل شيء طرف شباته،كحد السنان وحد السيف وهو ما دق من شفرته.

وحدود الله، هي الأشياء التي بين تحريمها وتحليلها،وأمر ألا يتعدى شيء منها،فيجاوز إلى غير ما أمر فيها أو نهي عنه منها.والحد:حد الزاني وحد القاذف ونحوه.وحدود الله ضربان:ضرب منها حدود حدها للناس في مطاعمهم ومشاربهم ومنا كحهم،وأمر بالانتهاء عما نهى عنه منها ونهى عن تعديها،والضرب الثاني:عقوبات جعلت لمن ارتكب ما نهى الله عنه،كحد السارق والزاني[٢].

وقال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ فصلت: ٣

أي يعلمون العربية ولو كان غير عربي ما عرفوه[٣].

وقيل:يعلمون الأشياء ويعقلون الدلائل إذا نظروا فيها،وذلك هو العلم الذي يوجب التكليف ،وقيل معناه:يعلمون الحق والإيمان فالأول عام وهذا خاص،والأول أولى،لقوله:(فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ)لأن الإعراض ليس من صفة المؤمنين،وقيل يعلمون لسان العرب فيفهمون القرآن إذ هو بلغتهم[٤].

---

١ -ينظر الجامع لأحكام القرآن ٤٦/٧،والبحر المحيط ١٨٨/٤،وبحر العلوم ٥٠٣/١.

٢ -ينظر تهذيب اللغة (حد) ٤١٩/٣

٣ -ينظر جامع البيان ٩١/١٢،ومعالم التنزيل ١٦٣/٧،والجامع لأحكام القرآن ٣٣٨/١٥.

٤ -ينظر تفسير ابن جزي ص٦٤١.

وقيل المعنى:أن فوائد تنزيله وتفصيله لقوم يعلمون دون غيرهم،فكأنه لم ينزل إلا لهم،أي فلا بدع إذا أعرض عن فهمه المعاندون فإنهم قوم لا يعلمون،وهذا كقوله:(إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)وقوله(بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ) [1].

٧-تمييزهم بين النافع والضار من الأعمال:

قال تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ القصص: ٨٠

أي أن أهل العلم النافع لما سمعوا مقالة من تمنى مثل ما عند قارون،قالوا لهم تلك المقالة،وقال السدي:ولا يلقى الجنة إلا الصابرون،كأنه جعل ذلك من تمام كلام الذين أوتوا العلم.

وقال ابن جرير:ولا يلقى هذه الكلمة إلا الصابرون عن محبة الدنيا الراغبون في الدار الآخرة،وكأنه جعل ذلك مقطوعا من كلام أولئك،وجعله من كلام الله عز وجل وإخباره بذلك[2].

المراد بالعلم هنا،أي:بأحوال الدنيا والآخرة كما ينبغي،وإنما لم يوصفوا بإرادة ثواب الآخرة،تنبيها على أن العلم بأحوال النشأتين يقتضي الإعراض عن الأولى والإقبال على الأخرى حتما،وأن تمني المتمنين ليس إلا لعدم علمهم بهما كما ينبغي،وقيل المراد بالعلم:معرفة الثواب والعقاب،وقيل:معرفة التوكل،وقيل:معرفة الأخبار،وما تقدم أولى[3].

٨-أن صدورهم أوعية لآيات الله تعالى:

قال تعالى:﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٩

اختلف في المراد بالضمير هو في قوله:(بَلْ هُوَ)،فقال الحسن:القرآن آيات بينات في صدور المؤمنين،وهو قول ابن عباس في رواية عطاء؛يريد الذين حملوا

---

١ -التحرير والتنوير ٢٤/٢٣٢.

٢ -ينظر جامع البيان ١١/١١٦،وتفسير ابن كثير ٥/٣٠٠.

٣ -ينظر روح المعاني ٢٠/١٢٢.

القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار،وحملوه من بعد النبي صلى الله عليه وسلم[1].

وقال قتادة:المراد بذلك النبي صلى الله عليه وسلم (ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ)أهل العلم من أهل الكتاب؛ لأنهم يجدون نعته وصفته في كتابهم[2].

ورجح ابن جرير القول الثاني،فقال:(وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال:عنى بذلك:بل العلم بأنك ما كنت تتلو من قبل هذا الكتاب كتابا،ولا تخطه بيمينك، آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب،وإنما قلت ذلك أولى التأويلين بالآية ؛لأنه واقع بين خبرين من أخبار الله عن رسوله محمد صلى الله عليه وسلم،فهو بأن يكون خبرا عنه أولى من أن يكون خبرا عن الكتاب الذي قد انقضى الخبر عنه قبل)[3].

وقال ابن كثير:(والقول الأول الذي رواه الحسن ،ورواه العوفي عن ابن عباس،وقاله الضحاك،هو الأظهر،والله أعلم)[4].

وذكر الزجاج فيها ثلاثة أقوال،فقال:منها:بل القرآن آيات بينات،ومنها:بل النبي صلى الله عليه وسلم وأموره آيات بينات،ومنها:(بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ) أي بل إنه لا يقرأ ولا يكتب، آيات بينات، لأنه إذا لم يكن قرأ كتابا،ولا هو كاتب ثم أخبر بأقاصيص الأولين والأنبياء فذلك آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم[5].

---

١ –أخرج ذلك الطبري عن الحسن ٦/١١،وهو قول الفراء في معاني القرآن ٣١٧/٢،وينظر تفسير ابن كثير ٣٣١/٥،والبسيط ٥٤١/١٧.

٢ –أخرج ذلك الطبري عن قتادة وابن جريج ٥/١١،وانظر تفسير ابن كثير ٣٣٢/٥،والبسيط ٥٤١/١٧.

٣ –جامع البيان ٦/١١

٤ –تفسير ابن كثير ٣٣٢/٥.

٥ –معاني القرآن وإعرابه ١٧١/٤.

٩-اختصاصهم بمعرفة الحق من ربهم:

قال تعالى: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ ﴾ سبأ: ٦

قيل المراد بالذين أوتوا العلم قولان:

أحدهما:أنهم مؤمنوا أهل الكتاب،كعبد الله بن سلام وأصحابه،رواه أبو صالح عن ابن عباس[١].

الثاني:أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم،قاله قتادة[٢].

ومعنى الرؤية هنا: العلم،قال مقاتل:يعني:ويعلم الذين أوتوا العلم بالله،يعني: مؤمني أهل الكتاب، وقال ابن عباس:يريد أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم[٣].

١٠- معرفتهم وفقههم لما يقوله الرسول صلى الله عليه وسلم:

قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ ﴾ محمد: ١٦

قال ابن عباس والمفسرون:يعني المنافقين يستمعون خطبة النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة،وكان يعرض بالمنافقين ويعيبهم،فإذا خرجوا من المسجد قالوا لأولي العلم من الصحابة:ماذا قال آنفا،وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال:كنت فيمن سئل،يعني أنه من الذين ذكرهم الله في قوله:(قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ)[٤]،وقيل: المراد به:عبد الله بن مسعود[٥]، وقيل هم الصحابة[٦].

---

١ -ذكر ذلك الطبري من غير نسبة جامع البيان ٦٢/١٢،وكذا ذكره من غيرنسبة،الواحدي في الوسيط٤٨٧/٣، وابن جزي الكلبي ص٥٧١،ونسبه ابن الجوزي لابن عباس زاد المسير ٤٣٣/٦.

٢ -أخرج ذلك الطبري عن قتادة جامع البيان ٦٢/١٢،ونسبه له ابن الجوزي في زاد المسير ٤٣٣/٦.

٣ -ينظر البسيط٣١٤/١٨،والجامع لأحكام القرآن ٢٦١/١٤.

٤ -أخرج ذلك الطبري جامع البيان ٥١/١٣،وأخرجه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم،ولم يخرجاه ووافقه الذهبي،كتاب التفسير،تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم ٤٥٧/٢،وينظر الجامع لأحكام القرآن٢٣٨/١٦.

٥ -ذكر ذلك أبو الليث السمرقندي في بحر العلوم ٢٤٣/٣،والقرطبي في الجامع ٢٣٨/١٦،والبسيط ٢٣٨/٢٠.

٦ -أخرج ذلك الطبري عن ابن زيد جامع البيان ٥١/١٣،ونسبه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن لابن زيد ٢٣٨/١٦،وذكره ابن الجوزي من غير نسبة زاد المسير ٤٠٢/٧.

١١-رجاحة عقولهم وقوة فهمهم لمعرفتهم الأمثال:

قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٣

أي ما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم المتضلعون منه.

ورد عن عمرو بن العاص أنه كان يقول:عقلت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف مثل،وهذه منقبة عظيمة لعمرو بن العاص رضي الله عنه،حيث يقول الله تعالى:(وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ)[١].

فإخباره تعالى هنا أنه لا يعقلها إلا العالمون،والكفار لا يدخلون في مسمى العالمين فهم لا يعقلونها[٢].

١٢-انفرادهم بمعرفة آيات الله في السموات والأرض واختلاف الألسنة والألوان:

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الروم: ٢٢ .

قال ابن عباس :الجن والإنس [٣].

وقرأ حفص عن عاصم(لِّلْعَـٰلِمِينَ)بكسر اللام جمع عالم[٤].

قال الفراء:وهو وجه جيد؛لأنه قد قال (لَّـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)الروم ٢٤، (لَّـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ)آل عمران ١٩٠[٥].

قال أبو علي الفارسي: خص العالمين على رواية حفص،وإن كانت الآية لكافة الناس عالمهم وجاهلهم، لأن العالم لما تدبر، فاستدل بما شاهد على مالم يستدل عليه غيره، صار كأنه ليس بآية لغير العالم، لذهابه عنها وتركه الاعتبار بها، ومن

---

١ -ينظر تفسير ابن كثير ٣٢٥/٥.

٢ -ينظر مفتاح دار السعادة ٨٨/١.

٣ -تنوير المقباس ص٤٠٦

٤ -السبعة في القراءات ص٥٠٦،والنشر في القراءات العشر ٣٤٤/٢.

٥ -معاني القرآن ٣٢٣/٢.

قال(لِّلْعَٰلِمِينَ)بفتح اللام فلأن ذلك في الحقيقة دلالة وموضع اعتبار،وإن ترك تاركون لغفلتهم ولجهلهم التدبر لها والاستدلال منها [1].

المبحث السابع:سجودهم لله تعالى، إذا تليت عليهم آياته:

قال تعالى ﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ الإسراء: ١٠٧

المراد بهؤلاء:هم مؤمنو أهل الكتاب،وهم الذين كانوا يطلبون الدين قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم،ثم أسلموا بعد مبعثه،مثل:زيد بن عمرو بن نفيل، وسلمان الفارسي، وأبي ذر وغيرهم.

وصف الله هؤلاء الذين أوتوا العلم من قبله أي من قبل نزول القرآن،من أهل الكتابين،أنهم إذا تلي عليهم القرآن يخرون لأذقانهم يبكون،ويزيدهم ما في القرآن من المواعظ والعبر خشوعا،يعني خضوعا لأمر الله وطاعته،واستكانة له [2].

وأخرج الطبري عن عبد الأعلى التيمي:أن من أوتي من العلم مالم يبكه لخليق أن لا يكون أوتي علما ينفعه،لأن الله نعت العلماء فقال:

﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ الإسراء[3]

وقال ابن عطية:(ثم ضرب لهم المثل على جهة التقريع بمن تقدم من أهل الكتاب،أي أن الناس لم يكونوا كما أنتم في الكفر،بل الذين أوتوا التوراة والإنجيل والزبور والكتب المنزلة في الجملة،إذا يتلى عليهم ما نزل عليهم خشعوا وآمنوا)[4].

---

١ -الحجة للقراء السبعة ٤٤٤/٥.

٢ -ينظر جامع البيان ١٨١/٩،ومعالم التنزيل ١٣٦/٥،وزاد المسير ٩٧/٥.

٣ -جامع البيان ١٨١/٩.

٤ -المحرر الوجيز ٣٥٨/١٠.

المبحث الثامن:تميز المعلم من الحيوانات على غيره بسبب العلم:

١-فقد جعل الله ميزة خاصة للمعلم من الحيوانات والطيور،وذلك بحل ما تصطاده.

قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ﴾ المائدة: ٤

قال ابن العربي:(اتفقت الأمة على أن الآية لم تأت لبيان التحليل في المعلم من الجوارح الأكل،وإنما مساقها تحليل صيده،وقالوا في تأويله:أحل لكم الطيبات وصيد ما علمتم من الجوارح،فحذف (صيد)وهو المضاف،وأقام ما بعده وهو المضاف إليه مقامه)[١].

جعل الله صيد الكلب الجاهل ميتة يحرم أكلها،وأباح صيد الكلب المعلم،فهذا شرف عظيم للعلم،حيث أنه لا يباح إلا صيد الكلب العالم،أما الكلب الجاهل؛فلا يحل أكل صيده،فدل على شرف العلم وفضله،ولولا مزية العلم.والتعليم وشرفهما؛لكان صيد الكلب المعلم والجاهل سواء [٢].

ومعنى تعلمونهن:قال الكلبي:تؤدبونهن لطلب الصيد أن لا يأكلن الصيد كما أدبكم الله[٣].

وصفة الكلب المعلم الذي يحل صيده:أن يكون إذا أرسله صا حبه وأشلاه استشلى[٤] ،وإذا أخذ الصيد أمسك ولم يأكل،وإذا دعاه أجابه،وإذا أراده لم يفر منه،فإذا فعل ذلك عدة مرات فقد تعلم [٥].

---

١ -أحكام القرآن لابن العربي ٢/٥٤٩.

٢ -ينظر مفتاح دار السعادة ١/٥٥.

٣ -ينظر تنوير المقباس ص١٠٧،وبحر العلوم ١/٤١٧،ومعالم التنزيل ٣/١٦.

٤ -قال أبو عبيد:قوله استشلاه أي استنقذه،وأصل الاستشلاء الدعاء،ومنه قيل:أشليت الكلب وغيره،إذا دعوته.تهذيب اللغة(شلى) ١١/٤١٣،والصحاح (شلا)٦/٢٣٩٥.

٥ -ينظر جامع البيان ٤/٩٦،ومعالم التنزيل ٣/١٦،والبسيط ٧/٢٦٤.

٢-وكذلك أنجى العلم الهدهد من تعذيب نبي الله له، لما توعده نبي الله سليمان-عليه السلام- ،بسبب غيابه .

قال تعالى: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ النمل: ٢٢

قال مقاتل:علمت ما لم تعلم،يقول:جئتك بأمر لم تخبرك به الجن،ولم تعلم به الإنس،وبلغت من العلم ما لم تبلغه أنت ولا جنودك [١].

لما توعد نبي الله سليمان الهدهد حين فقده من مجموعة الطير،جاء الهدهد معتذرا عن غيابه،وخاطب نبي الله سليمان عليه السلام خطابا فصيحا هيجه به على الإصغاء لكلامه والقبول منه فقال:(أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ) ومراده بالإحاطة:أي أني قد عرفته وعقلته من جميع جوانبه،ثم وصفه بأنه خبر عظيم له شأن فقال:(وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ) ومراده بالنبأ هو الخبر الذي له شأن وتتطلع النفوس إلى معرفته،ثم وصف النبأ بأنه يقين لا شك فيه ولا ريب.فهذه مقدمة عظيمة جاء بها الهدهد قبل إخباره لنبي الله بذلك النبأ،مما جعل قلب المخبر يستفرغ لتلقي الخبر،وأوجبت له التشوف والتطلع التام لسماع ذلك النبأ ومعرفته،وهذا نوع من براعة الاستهلال وخطاب التهييج،ظهر به عظم العلم الذي عند ذلك الطائر الصغير.

ثم كشف عن حقيقة الخبر مؤكدا له بأدلة التأكيد فقال:(إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ)إلى آخر القصة[٢].

ففي هذه الآية دليل على أن الصغير يقول للكبير والمتعلم للعالم عندي ما ليس عندك إذا تحقق ذلك وتيقنه،ولا مضرة عليه بذلك،فلا يرفض الحق بسبب صغر الحامل له[٣].

---

١ -ينظر البسيط ٢٠٢/١٧،وبحر العلوم ٤٩٣/٢،والجامع لأحكام القرآن ١٨١/١٣.

٢ -الضوء المنير ٤٤٩/٤.

٣ -ينظر الجامع لأحكام القرآن ١٨٢/١٣.

ولما كان الهدهد داعيا إلى الخير،وعبادة الله وحده والسجود له نهي عن قتله كما في حديث ابن عباس:(نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أربعة من الدواب النملة والنحلة والهدهد والصرد) [1].

٣-وكذلك النملة لما حذرت قومها من خطر سليمان وجنوده سطر الله ذلك في كتابه إشادة بفعلها ورفعة لدرجتها لما تميزت به من العلم على بني جنسها.

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ ﴾ النمل: ١٨

فانظر في الخطاب الذي وجهته إلى قومها:تجد أنها استفتحت خطابها بالنداء الذي يسمعه من خاطبته،ثم أتت بالاسم المبهم،ثم أتبعته بما يثبته من اسم الجنس إرادة للعموم،ثم أمرتهم بأن يدخلوا مساكنهم فيتحصنون من العسكر،ثم أخبرت عن سبب هذا الدخول وهو خشية أن يصيبهم معرة الجيش فيحطمهم سليمان وجنوده،ثم اعتذرت عن نبي الله وجنوده بأنهم لا يشعرون بذلك.وهذا من أعجب الهداية [2].

فقولها:(وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ)التفاتة مؤمن ،أي من عدل سليمان وفضله وفضل جنوده لا يحطمون نملة فما فوقها إلا بألا يشعروا.وقد قيل إن تبسم سليمان سرور بهذه الكلمة منها؛ولذلك أكد التبسم بقوله(ضَاحِكًا) إذ قد يكون التبسم من غير ضحك ولا رضا،ألا ترى أنهم يقولون تبسم تبسم الغضبان، وتبسم الضحك إنما هو عن سرور،ولا يسر نبي بأمر دنيا؛ وإنما سر بما كان من أمر الآخرة والدين فقولها :(وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ)إشارة إلى الدين والعدل والرأفة [3].

---

١ -أخرجه أبو داود في كتاب الأدب باب في قتل الذر ٤١٨/٥،وابن ماجه في كتاب الصيد باب ما نهي عن قتله ١٠٧٤/٢،والدارمي في كتاب الأضاحي باب النهي عن قتل الضفادع والنحلة ٨٨/٢، والبيهقي في السنن الكبرى كتاب الضحايا جماع أبواب ما يحل ويحرم من الحيوانات ٣١٧/٩،وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٩٨٨/٣،وصحيح سنن ابن ماجه ٢١٧/٢،وفي إرواء الغليل ١٤٢/٨

٢ -ينظر الضوء المنير ٤٤٦/٤.

٣ -ينظر الجامع لأحكام القرآن ١٧٠/١٣،والبحر المحيط ٦٢/٧،وروح المعاني ١٨٠/١٩،والتحرير والتنوير ٢٤٢/١٩.

قال الرازي:(وإنما ضحك لأمرين:أحدهما:إعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى،وذلك قولها(وهم لا يشعرون).

والثاني:سروره بما آتاه الله مما لم يؤت أحدا من سماعه لكلام النملة وإحاطته بمعناه)[1].

١ -التفسير الكبير ١٨٨/٢٤،وينظر أحكام القرآن لابن العربي ١٤٥٣/٣.

الخاتمة

وفيها أهم النتائج:

١-إن من شرف العلم وفضله،كونه أول مأمور به في هذا الدين.

٢-إنه الشيء الوحيد الذي وجه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى طلب الزيادة منه.

٣-ومما يميز العلم عن غيره كونه قرين الإيمان في كتاب الله عز وجل.

٤-ولشرف العلم وفضله جاء الحث والترغيب في الرحلة في طلب العلم.

٥-إن في ورود آيات من كتاب الله تظهر منة الله على بعض عباده بالعلم، دليل على فضله وشرفه.

٦-يشترط في من يتصدى للمهام الكبار ،أن يكون من ذوي العلم والخبرة.

٧-أن الجاهل يمنع من مزاولة أي عمل،ويختص ذلك بالعلماء المتمكنين من العلم.

٨-إن مما يدل على علو شأن العلم والعلماء،أن الله قرن شهادتهم بشهادته سبحانه وشهادة ملائكته.

٩-أن أولي العلم هم الذين يسند إليهم أو يطلب منهم تأويل كلام الله سبحانه، وترد الأمور المهمة إليهم دون غيرهم من البشر.

١٠-في رفعة درجات أولي العلم وحدهم،دليل على علو منزلتهم وما يتصفون به من العلم والمعرفة.

١١-أن العلماء الربانيين هم أهل خشية الله وحده.

١٢-إن مما يميز العلماء عن غيرهم،تفردهم بمعرفة الحق من الباطل والخير من الشر.

١٣-العلماء يظهرون تعظيم ربهم، بسجودهم له إذا تليت عليهم آياته.

١٤-أمر الشارع سبحانه بإقامة الحد على من تكلم في عرض أحد من المسلمين بغير علم.

١٥-بالعلم وحده ظهر تميز بعض الحيوانات على بعض، مع أنها كلها عجماوات، لا تحسن الكلام.

ثبت المصادر والمراجع

١-الإتقان في علوم القرآن للسيوطي،عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي،تحقيق:مركز الدراسات القرآنية،طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،الطبعة الأولى.

٢-أحكام القرآن لابن العربي،أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي،دار المعرفة

للطباعة والنشر بيروت لبنان.

٣-إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للألباني،محمد ناصر الدين،المكتب الإسلامي بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

٤-أسباب النزول للواحدي،علي بن أحمد الواحدي،تحقيق:السيد أحمد صقر،دار القبلة للثقافة الإسلامية،جدة.الطبعة الثانية١٤٠٤هـ.

٥-أضواء البيان للشنقيطي،محمد الأمين بن محمد المختار الجكني،طبع وتوزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض ١٣٠٣هـ.

٦- إعلام الموقعين عن رب العالمين،لابن القيم،محمد بن أبي بكر،مراجعة وتعليق:طه عبد الرؤف سعد،دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة بيروت لبنان،١٩٧٣م.

٧-بحر العلوم للسمرقندي نصر بن محمد بن أحمد السمر قندي تحقيق وتعليق:علي معوض وعادل عبد الموجود والدكتور زكريا النوتي،دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

٨-البحر المحيط لأبي حيان محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

٩-البرهان في علوم القرآن للزركشي محمد بن عبد الله الزركشي،دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان،تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم،الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ.

١٠-البسيط للواحدي علي بن أحمد الواحدي،تحقيق مجموعة من العلماء،طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١١-التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور،نسخة مصورة عن الدار التونسية للنشر.

١٢-تفسير ابن جزي الكلبي محمد بن أحمد بن جزي الكلبي،أشرف عليه:لجنة تحقيق التراث في دار الكتاب العربي بيروت،١٤٠٣هـ.

١٣- تفسير الحسن البصري،جمع وتوثيق ودراسة د/محمد عبد الرحيم،دار الحديث القاهرة.

١٤-تفسير سفيان بن عيينة،جمع وتحقيق ودراسة:أحمد صالح محايري،المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

١٥-تفسير غريب القرآن لابن قتيبة،عبد الله بن مسلم بن قتيبة،دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت.

١٦- تفسير القرآن العظيم لابن كثير إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي،دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ،الطبعة الرابعة ١٩٨٣م.

١٧-التفسير الكبير للرازي،محمد بن عمر القرشي الملقب فخر الدين الرازي،مكتبة المعارف الرياض.

١٨-تفسير كتاب الله العزيز للهواري،هود بن محكم الهواري،حققه وعلق عليه:باحاج بن سعيد شريفي،دار الغرب الإسلامي،الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

١٩-تنوير المقباس من تفسير ابن عباس،لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي الشافعي،دار الإشراق للطباعة والنشر بيروت لبنان،الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٢٠-تهذيب اللغة للأزهري،محمد بن أحمد الأزهري،تحقيق الأستاذ :عبد السلام هارون،دار القومية العربية للطباعة ١٣٨٤هـ.

٢١-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي،عبد الرحمن بن ناصر السعدي،اعتنى به تحقيقا ومقابلة:عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

٢٢- جامع البيان عن تأويل القرآن للطبري،محمد بن جرير،دار الفكر بيروت لبنان ١٤٠٥هـ.

٢٣-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي،محمد بن أحمد الأنصاري ،دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان،١٤٠٥هـ.

٢٤-الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي،الحسن بن عبد الغفار،حققه:بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي،دار المأمون للتراث ١٤٠٤هـ.

٢٥-الدر المصون في علم الكتاب المكنون للحلبي،أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق:د/أحمد خراط ،دار القلم دمشق،الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٢٦- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي،عبد الرحمن جلال الدين السيوطي،دار الفكر للطباعة والنشر بيروت لبنان،الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٢٧-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي،محمود الألوسي البغدادي،عنيت بنشره وتصحيحه للمرة الثانية:إدارة الطباعة المنيرية،دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

٢٨- زاد المسير في علم التفسير،لابن الجوزي،عبد الرحمن بن الجوزي،المكتب الإسلامي ١٣٨٤هـ.

٢٩-الزيادة والإحسان في علوم القرآن،لابن عقيلة،محمد بن أحمد بن عقيلة المكي، مجموعة رسائل جامعية،قام بتدقيقها وتهيئتها للطباعة:مجموعة بحوث الكتاب والسنة، مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة ١٤٢٧هـ.

٣٠-السبعة في القراءات لابن مجاهد،تحقيق الدكتور:شوقي ضيف، دار المعارف ،الطبعة الثالثة.

٣١-سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي،دار الدعوة تركيا.

٣٢-سنن ابن ماجه للحافظ:أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني،دار الدعوة تركيا.

٣٣-سنن الدارمي،محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي،،طبع بعناية:محمد أحمد دهمان نشر:دار إحياء السنة النبوية.

٣٤-سنن البيهقي الكبرى،أحمد بن الحسين بن علي البيهقي،دار المعرفة بيروت عن الطبعة الأولى بحيدر آباد ١٣٤٤هـ.

٣٥-الصحاح للجوهري،إسماعيل بن حماد الجوهري،تحقيق:أحمد عبد الغفور عطار،دار العلم للملايين بيروت لبنان،الطبعة الثانية١٣٩٩هـ.

٣٦-صحيح البخاري،محمد بن إسماعيل،دار الدعوة تركيا.

٣٧-صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج،دار الدعوة تركيا.

٣٨-صحيح سنن أبي داود للألباني،محمد ناصر الدين الألباني،مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض،الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٣٩-صحيح سنن ابن ماجه للألباني،محمد ناصر الدين الألباني،مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض ،الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٤٠-الضوء المنير على التفسير،جمع الشيخ:علي الحمد الصالحي،من كتب الإمام ابن الجوزي،مؤسسة النور للطباعة والتجليد بالتعاون مع مكتبة دار السلام.

٤١-فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر،أحمد بن علي بن حجر العسقلاني،نشر رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض.

٤٢-فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير،محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة بيروت.

٤٣-الفوائد لابن القيم،محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم الجوزية،دار الكتب العلمية بيروت لبنان،الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.

٤٤- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري،دار المعرفة بيروت.

٤٥-لباب النقول في أسباب النزول،لجلال الدين السيوطي،عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار إحياء العلوم بيروت،الطبعة الأولى ١٩٧٨م.

٤٦-لسان العرب لابن منظور،محمد بن مكرم بن علي بن منظور،دار صادر بيروت الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٤٧-مجاز القرآن لأبي عبيدة،معمر بن المثنى التيمي ،تعليق :محمد فؤاد سزكين ،الطبعة الثانية ١٤٠١هـ مؤسسة الرسالة بيروت لبنان.

٤٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية ، دار الكتاب الإسلامي القاهرة.

٤٩-المستدرك على الصحيحين،للحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي،دار الكتاب العربي بيروت.

٥٠-مشكل القرآن وغريبه لابن قتيبة،عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المروزي، دار المعرفة بيروت ،توزيع دار الباز للنشر والتوزيع مكة المكرمة.

٥١-معالم التنزيل للبغوي أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي،دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض ١٤٠٩هـ.

٥٢-معاني القرآن للفراء أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء،عالم الكتب بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٠م.

٥٣-معاني القرآن وإعرابه للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السري،شرح وتحقيق د/عبد الجليل عبده شلبي،الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ عالم الكتب بيروت لبنان.

٥٤-معاني القرآن الكريم للنحاس أبي جعفر النحاس،تحقيق:محمد علي الصابوني،نشر مركز إحياء التراث الإسلامي مكة المكرمة،جامعة أم القرى الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٥٥-معجم مقاييس اللغة،لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا،تحقيق وضبط:عبد السلام محمد هارون،دار الجيل بيروت الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٥٦-مفتاح دار السعادة لابن القيم محمد بن أبي بكر،دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٥٧-المفردات في غريب القرآن للراغب،الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان،تحقيق وضبط:محمد السيد كيلاني.

٥٨-النشر في القراءات العشر لابن الجزري،محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري،أشرف على تصحيحه:علي محمد الضباع،دار الكتب العلمية بيروت،توزيع دار الباز مكة المكرمة.

٥٩-الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي،علي بن أحمد ،تحقيق:مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.